الاحزان قواهُ واشرف على قطع الرجاء.

وفي غربي المدينة رأس داخل في البحر يشير اليهِ الاهلون خلسةً ولا يلفظون اسمهُ الّا مهامسة خوفاً من الجواسيس فهناكَ رمى السوفيات بالرصاص نحو عشرة آلاف من الجيش الابيض اغلبهم من الضبّاط وافاضل دولتهم رحمهم الله

قضينا في ثاودوسية خمسة أيام ونحن نطلب الى اصحاب الامر ان يسهّلوا لنا السفر الى محلّ شغلنا فيُحضروا لنا قطاراً نركبهُ الى حيث تعيَّن شغلنا من قبل دولتهم فلم نزل نلحّ عليهم حتى اجابوا الى دعوتنا. ولما تحفّزنا الى السفر وعرف الناس أننا اتينا لاسعافهم تعدّدت طلبات المحتاجين لكي نرحمهم في ضنكهم. وكان هناك احد الكرواتيين الكاثوليك الذي ساءت احواله بمصادرة البولشفيك فطلب ان يُنظم في دائرة اشغالنا. فأحلناهُ الى السوفيات الذين لهم وحدهم التصرُّف في تعيين مساعدينا (لهُ تتمّة)

بيروت

تاريخها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

لمّا كانت الحرب الكونيّة منتشبة وبيروت تحت رحمة الدولة التركية تعيَّن على كلّ ولايتها رجل ذو حزم وإقدام كخلَف لسامي بكر بك نعني بهِ عزمي بك. فضبط زمام الامر وجرى في حكمهِ بعدل وانصاف. ولولا تحكُّم جمال باشا عليهِ لعلَّهُ كان خفَّف من وطأتهِ ولطَّف نوعاً بعض الفظاظة في طباعهِ (١

١) بينما نحن نرقم هذه الاسطر قد علمنا بالاسف وفاة عزمي بك رحمهُ الله رحمة واسعة

ومما يذكر لهُ فيشكر انَّهُ قصد ان يرفع منار الولاية الموكولة الى همتهِ ولاسيما مركزها بيروت ، ليزيل عنها ما يشينها ، ويُجلي محاسنها بما يزينها ، فلا تلبث ان تباهي حواضر المدن الراقية بابنيتها الفخمة وشوارعها الفسيحة وحدائقها الغنَّاء. فتُصبح كتاج على مفرق البلاد الشاميَّة وكغرَّةٍ على جبهتها . على انَّهُ لم يحقق من تلك الاماني الَّا القسم السَّلبيّ بما اخربهُ من الاحياء القذرة وبذلك مهَّد سبيلًا للدولة الفرنسويَّة لتقيم مكانها المباني الجليلة وتشيد المعاهد الجميلة على طراز الهندسة العصريَّة

وقد سبق لنا في مجلة المشرق (١٩ [١٩٢١] : ٣٢٩) ذكر امره بتقويض ابنية الاسواق العتيقة التي كانت تعشش فيها الجراثيم الوبيئة ووقوف العملة على آثار بناء قديم عهد الينا والى الاجزائي المرحوم مراد بك البارودي ان تقدَّم لهُ فيها تقريرًا رسميًّا مع وصف ما وجد من الكتابات والحرفيَّات والنقوش فلبينا طلبهُ . ثمَّ عرض على كاتب هذه الاسطر ان يصنف تاريخًا مختصرًا لبيروت وآثارها القديمة وسمح لنا وتنذ بمراجعة مكتبتنا الشرقيَّة التي كانت أُقفلت منذ اوَّل الحرب

وباشرنا بهذا العمل بطيب خاطر وان لم يكن بيننا وبين ما من الاتصال بينا من اخوتنا الرهبان لنقتبس من معارفهم ونستر شدهم فقد تسد الى ارائهم . ثمَّ انجزنا العمل بعد أشهر وانتظرنا ريثما يطلبهُ الوالي منَّا وكانهُ نسي امرهُ لوفرة اشغالهِ ولاسيما بعد ان دعانا متصرّف جبل لبنان اسماعيل حقّي بك بإغراء رجل شريف من اعز اصدقائنا سعادة حسين كاظم بك الى تأليف دليل للبنان وضمناهُ مع لجنةٍ من الادباء ونُشر في المطبعة الادبيَّة فجاء اكبر وأوفى كتاب عن لبنان وسائر احوالهِ

امَّا صحائفنا في تاريخ بيروت فبقيت مطويةً بين اوراقنا حتى ذكَّرنا بها احد الادباء وحثَّ رجلًا اثريًّا من اهل الانتداب على ان يطالبنا بها ويدعونا الى نشرها في مجلَّتنا لعلَّها تأتي بفائدةٍ لدارسي تاريخ الوطن . فها نحن مجيبون لطلبتهِ مستميحين عذرًا من قرَّائنا الادباء لما يعثرون عليهِ في هذا العمل من النقص والخلل

مقدمة

نظر عامّ في تواريخ بيروت

من العجب العجاب انَّ حاضرة بيروت مع ما طرأ عليها على توالي الدهور من الطوارئ الهامّة وحدث فيها من الوقائع الخطيرة لم يُكتب حتى اليوم تاريخها البهيج. وغاية ما ورد عنها بعض اسطر قليلة لا تتجاوز اذا جُمعت الثلث او الاربع الصحائف تجدها متفرّقةً في بطون تواريخ قدماء الكتبة من يونان ورومان وسريان

ومثلهم العرب فانَّ تآليفهم لا تحتوي عن بيروت الّا الفوائد النزرة التي لا تفي برغبة الباحثين. وقد سعى بينهم سدًّا لهذه الثلمة وتلافياً لهذا الخلل احد ادباء القرن التاسع للهجرة والخامس عشر للميلاد وهو من سُلالة امراء بني الغرب المشهورين بالبُحتُريين يُدعى صالح بن يحيى صنَّف كتاباً وسمّهُ بتاريخ بيروت وقد وجدنا نسخةً فريدةً من تأليفهِ في مكتبة باريس العموميَّة فاستحضرنا رسمها بالتصوير الشمسيّ ثمَّ زيَّنّا بها جيد مجلّتنا المشرق لمّا ظهرت لاوّل مرَّة سنة ١٨٩٨ وتابعنا نشرها مدَّة سنتين ثم طبعناها على حدة واضفنا اليها فهارس واسعة وعدَّة معلومات وملحوظات (١)

لكنَّ هذا التاريخ في حقيقة الحال مع فوائده لم يذكر عن بيروت الّا ما لايشفي العليل ويروي الغليل. فانَّ صاحبهُ بعد كلام اجمالي عن بيروت وقِدَمها وآثارها يتخطّى الى ذكر بعض التقاليد التي كان يتناقلها اهل زمانهِ ثمَّ ينقل عن مؤرخي العرب ما كتبوهُ عن فتوحات بيروت المتوالية بعد الاسلام وخصوصاً في عهد الفرنج الصليبيين الى ان ينتهي الى تاريخ اجدادهِ من بني الغرب فيفيض في مآثرهم في بيروت وانحاء لبنان

وقد اجتهدنا وقتئذٍ في ان نثبت في ذيل الكتاب ما امكننا جمعهُ عن بيروت من كتب التاريخ على قدْر ما كانت تسنح لنا الفرصة ويسمح قصر الوقت وتراكم الاشغال

---

(١) وقد اخذ الدكتور لويس ابي نادر ومخائيل مراد صاحبا مجلّة العاصمة المطبوعة في ريو جانيرو في البرازيل بطبع هذا الكتاب في اعداد مجلّتهما نقلاً عن المشرق وكان اولى بهما ان يشيرا الى طبعتهِ المنفردة

وما خلا هذا التاريخ توجد فصول مختلفة في دائرة المعارف البستانيَّة وفي كتب الفرنج من مرسلين او اثريين او سيَّاح وفي برنامجات سوريَّة وبيروت يُستفاد منها بعض المعلومات للازمنة الاخيرة

فكل هذه الشذرات والفوائد المتشتتة لو جُمعت ورُوِيت منظَّمةً في ابواب مختلفة تأتي بلا شك بالطائلة المنشودة وتعريف اخصّ ما جرى في بيروت من الاخبار وما اكتُشف فيها من الآثار . فبكل سرور وارتياح نعود اليوم الى هذا البحث اللذيذ ليتألف منهُ خلاصة تاريخ تلك المدينة التي اصبحت اليوم عاصمة لدولة لبنان الكبير فيزيد اعتبار اهلها لما اذا وقفوا على نسبها الاصيل وذكروا ماضيها الجليل

ونقسم هذه الابحاث الى قسمين نخصّ القسم الاوَّل منها باخبار بيروت ومآثرها من قدم الزمان الى ظهور الاسلام . والقسم الثاني بتاريخها منذ الفتح الاسلامي الى ايامنا مع ذكر ما عثروا عليهِ من الآثار في هذين الطورَين

القسم الاول

اخبار بيروت ومآثرها في القدم الى ظهور الاسلام

البحث الاول

في موقع بيروت

انَّ الموقع الذي اختارهُ الاقدمون لبناء مدينة بيروت لَمن انسب المواقع لحاضرة كان من شأنها ان تجمع خواصّ حواضر البلاد فانَّها برّيَّةٌ بحريَّةٌ سهليَّة جبليَّة في وسط سواحل فينيقية تتوارد اليها خيرات الاقطار المجاورة على سواء من جهة الاناضول وبلاد حمص وحماة وحلب . ومن الجنوب من نواحي مصر وفلسطين . ومن الشرق من دمشق واحياء العرب . ومن الغرب من قبرص وجزائر البحر

وقد أنعم الله على بيروت باعتدال الهواء فلا يلحق بأهلها أذى البرد القارس شتاء ولا لظى الحرّ اللافح صيفاً فيحميها لبنان عن السموم وتلطِّف الريح البحريَّة شدَّة حرارتها في الصيف هذا فضلاً عن قربها من الجبل اذ يستطيع اهلها في أيسر الزمان ان يتمتَّعوا بنسيمهِ العليل ويتهنَّأوا بهوائهِ النقيّ البليل

ويستدلّ على حسنات هذا الموقع من درجات طول بيروت وعرضها فانّ طولها بالنسبة الى سنت باريس شرقيًا ثلاث وثلثون درجة وسبع دقائق وبعض الثواني . وعرضها اي بُعدها عن خطّ الاستواء نحو الشمال ثلاث وثلثون درجة واربع وخمسون دقيقة فناهيك بذلك دليلًا محسوساً على مميزات وضعها . ثمّ بقربها نهرُها المسمّى ميغدونيوس (Mygdonius) الذي يخصب رِيفَها . وكانت مياهُهُ قديماً تجري الى انحائها بقنيّ وقناطر تُرى حتى اليوم آثارها فتزيد اهاليها طيبَ السُّكنى ورغد العيش

ولبيروت راسٌ يدخل في البحر الى نحو تسعة كيلومترات فيجعلها كما قال بعض القدماء كملكةٍ ترتفق الى الجبال وتغسل قدميها في غمر البحر او بالحري كسلطانة تبسط على مملكة البحار سيطرتها المظفّرة . ومنذ عهدٍ لا يعلم قدرَهُ الّا الله تمدُّها خرائق الرياح التي تهبُّ من جانب مصر بكمّيّات من الرمل الذي يسهل تحويلهُ الى تربةٍ مخصبة توليها مرافق وخيرات لا تُحصى

البحث الثاني

في جيولوجية بيروت

يرجّح علماء الجيولوجية انّ رأس بيروت كان قبل التاريخ منقطعاً عن البرّ تحيط به مياه البحر على مداره . فلم تزل الرياح الجنوبية تدفع اليه كثباناً من الرمل حتى ألصقتها بالجبل واغنتها بتلك السهول التي تزهو فيها غابات الصنوبر وهي تُعدُّ من اوفر موارد غناها

ويؤيد هذا الرأي ما تحقّقهُ علماء طبقات الارض وبيّنهُ في مجلّة المشرق (١ [١٩١٨] : ٣٩٦) احد اساتذة كلّيّة القديس يوسف الاب زُموفن حيث قال : « ان الوادي الذي يجري فيهِ نهر بيروت مع ما يجاورهُ من السهل كان مغموراً بمياه البحر قبل حلول الانسان فيهِ وكان هناك خور كبير يجمع بين خليج مار جرجس جنوبيّ البلدة ومياه البحر التي يصبُّ عندها وادي شحرور »

واتى بالبرهان على ذلك مستدلًّا بالرواسب البحرية التي تُرى في تلك الجهات في عدة مواضع من سفح لبنان وبقرب سكة الشام الجديدة عند المحل المعروف بلوكندة

المطران حيث توجد قطعة كبيرة من تلك الرواسب تعلو عشرة امتار فوق سطح البحر

ومثلها تُلّة مار دمتري والربوة التي عليها بُنيت ثكنة البلدة المحوّلة الى السراية الكبرى فان كلتيهما تتركّب من الرواسب عينها وتربتُها كتلةٌ من الرمل ودقيق الحصى والاصداف البحريّة والحجارة المصقولة باحتكاك مياه البحر كما هو معهود في السواحل

وليس هذا الارتفاع عمل الرياح البحرية فقط بل هو احدى الطوارئ الطبيعيّة بفعل العوامل الباطنة التي ترفع ببطء القشرة الارضيّة وأديمها في السواحل كما اثبتهُ الجيولوجيُّون عن عموم شواطئ البحار وتبيّنوهُ ايضاً في شواطئ سوريّة وفلسطين

(لهُ بقيّة)

الارزة والسنبلة

بقلم الاديب فؤاد افرام البستاني متقدّم النادي الادبي العربي في كليتنا

الارزة

حرابٌ خضراء تنطح كبد السماء دقّةً وارتفاعاً
تُلقي عليها شمس الأصيل حُلَل الأرجوان بلا حساب
ويميل بها النسيم فتتموج خيالاتها على اديم السماء

***

عروقٌ متشعّبة ، ملتفة ، مشتبكة ، تفتّتت عليها قرّات الدهور ولم تتزعزع . . .
اصول راسخة في ارض ما انبتت الّا العظيم . . .
اعضاء منتولةٌ يخالها الناظر سواعد جبابرة الاقدمين محتبكة للدفاع عن ارض الميعاد . . .